وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية العلوم الاسلامية
فسم الحديث وعلومه

محاضرات في النظم الإسلامية

م. د. محسن هيجان عبدالله

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

المحاضرة الأولى

النظم الاسلامية

تمهيد

خلق الله الكون كله وفقاً لنظام معين محكم ودقيق، وأراد لجميع مخلوقاته أن تنتظم في القانون الإلهي الذي يحفظ ديمومة وبقاء الخليقة، وأن يستمر وجودها وانتظامها حسب ما أراده لها.

فالناظر والمتأمل للكون كله يرى أن جميع ما خلق الله تعالى يسير على نظام معين، وقانون إلهي محكم، ففي حركة النجوم والكواكب الأخرى نجد أن كل نجم وكوكب له مسار ومدار محدد لا يمكنه تجاوزه، أو الخروج عنه، كما وصف الله تعالى انتظام الشمس والقمر في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾. **[يس: ٤٠].**

وكما يجري الشمس والقمر في فلك محدد لهما، وتسير النجوم والكواكب ضمن مدارات مرسومة دقيقة، أراد الله للبشرية جمعاء أن تسير على المنهج الإلهي والتشريع الرباني، فمن رحمة الله بخلقه أن أرسل لهم أنبياء ورسلا، كلما انقضى عصر رسول، أتبعه بآخر حتى جاء مسك الختام وسيد الأنام سيدنا محمد(ﷺ)، ليقيم شرعه الذي جعله محكماً ومتكاملاً بالرسالة العامة الخاتمة رسالة الإسلام؛ ولتكون النظام الذي أراده الله للناس أجمعين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كانت تصورات المجتمعات قبل الإسلام للحياة، ونظرتهم للدين على أنه شيء ثانوي، ليس ذا أثر في كل أمورهم الدنيوية وحياتهم الاجتماعية،

والاقتصادية، والسياسية، وإنما الدين – في نظرهم – مجرد ملحق يحصلون من خلاله على جواز مرور لحياتهم الأخروية، أو شهادة يحصلون بها على النجاة والخلاص يوم الحساب، فعلاقة الإنسان بنفسه، وأبناء نوعه، وكل أمر في دنياه شيء، وعلاقته بمعبوده شيء آخر، ولا رابط بين الاثنين ولا صلة.

حتى جاء الإسلام بقيمه ونظمه ليقضي على ذلك التصور الجاهلي الخاطئ للدين، وليقدم تصورًا عقليًّا وفكريًّا جديدًا يهدف إلى إقامة مجتمع متين محكم، وإدارته بكل دقة وأمانة ونجاح، ليقدمه للناس كلًّا متكاملاً، وليبين للإنسانية أن الدين في الحقيقة ليس جزءًا من الحياة، وإنما هو الحياة بأسرها، وهو روحها الناطقة الحية، ومحركها الرئيس، وقوتها الدافعة، وهو الفهم والشعور، والوعي والفكر والنظر والإدراك، وهو معيار التفريق بين الخطأ والصواب، وهو الذي يرينا الفرق بين الاستقامة والاعوجاج في كل خطوة نخطوها في أي ميدان من ميادين الحياة، كذلك هو الذي يقينا وينجينا من التيه وضلال الطريق، ويهبنا القدرة والطاقة اللازمة للسير على الطريق الحق، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان في كل حقبة من حياته ليعبر بنجاح مفازة الحياة اللامتناهية الممتدة من الدنيا إلى الآخرة.

وموضوع النظم الاسلامية بالرغم من أهميته لم يتطرق إليه الأقدمون ببحث مستقل، ولعل أول من أفرده بالتأليف أبو الحسن الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ) بكتابه: الأحكام السلطانية، وأبو يعلى الفراء، (ت:٤٥٨هـ)، بكتابه: الأحكام السلطانية، ونجد هناك مؤلفات خاصة بالبحث في مفردات معينة؛ كما في كتاب الخراج لأبي يوسف، (ت: ١٨٢هـ)، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، (ت: ٢٢٤هـ) وغيرها من المؤلفات الخاصة بالنظام القضائي أو الإدراي، ويمكن أن تعتبر المؤلفات الفقهية مصادرا خصبة للنظم الاسلامية بالإضافة إلى كتب الأصول والتفسير.

أما المعاصرون فقد أفردوا النظام الإسلامي بالبحث والتأليف مثل: عبد العزيز الدوري، وحميد البياتي، واسماعيل علي محمد، ومحمد أبو زهرة، ومحمد الغزالي، وغيرهم.

المبحث الأول

مفهوم النظم والهدف من دراستها ونشأتها

المطلب الأول

مفهوم النظم

قبل أن ندخل في دراسة النظم الاسلامية، لا بد من تعريف النظم في اللغة، وبيان مفهومها العام، ومعناها الخاص في الشريعة الاسلامية.

أولا: النظم لغة: مفرد النظم: نظام، والنظام مأخوذ من الفعل الثلاثي: نظم، والذي يدل على معان عدة منها: الجمع والترتيب والضم والتأليف، نقول نظمت العقد إذا رتبت خرزه، ونظمت الشعر أو القصيدة أي: جعلتها في نسق معين، ونظمت الكتاب إذا ألفته وجمعت بعضه إلى بعض.

والنظام: الاتساق والنسق والهدي والطريقة والعادة، والنظام يدل على الترتيب والتنسيق، ووضع الأشياء في مواضعها، حسب منهج خاص، وطريقة معينة مقصودة، وتُجمع كلمة النظام على: نظم وأنظمة وأناظيم.

ثانيا: النظم بمعناها العام: تعرف النظم: بأنها القواعد، أو المباديء الأساسية التي تهدف إلى تنظيم حياة الناس، وفقاً لمنهج معين يسيروا عليه، ويقيموا على أساسه سلوكهم وتصرفاتهم.

فالنظام اليوم أصبح يمثل القوانين التي تنظم حياة الناس، ويعرف كل فرد منهم ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وما هو مباح فعله لهم، وما هو محرم عليهم، لكي يتحقق أمن واستقرار المجتمعات.

ثالثا: النظم الاسلامية: أما النظم الاسلامية فيمكن تعريفها بأنها: التشريعات والأحكام التي شرعها الله تعالى، أو شرع أصولها، ليسير عليها الناس في حياتهم، ويقيموا على أساسها تصرفاتهم وسلوكهم، ويحددوا طريقة عيشهم في كافة أمورهم.

فالنظام الاسلامي يشمل منهج الاسلام وهديه وتعاليمه؛ التي تكفل تحقيق العدل والمساواة بين الناس جميعاً، وتنظم علاقة أفراد المجتمع فيما بينهم، وعلاقة المجتمعات بعضها ببعضها الآخر، بل وتنظم حياة الناس مع بيئتهم التي يعيشون فيها.

أما النظم الوضعية: فهي: عبارة عن قوانين بشرية، تكونت من عادات الناس وأعرافهم، ثم تطورت بمرور الزمن؛ لتصبح قوانين يسير عليها الناس، إذ ينشأ القانون البشري بمحدودية في الجماعات الصغيرة، ثم يتطور بتطور الجماعة، وازدياد الحاجة لنظام يواكب المستجدات الحياتية.

والغالب فإن من يضع هذه القوانين هم أصحاب القوة والسلطان؛ بما يخدم مصالحهم الشخصية، ويعزز نفوذهم على حساب الآخرين الذين لا يملكون إلا الامتثال لسلطة القانون وإن كان جائراً في حقهم.

يقول المؤرخون إن القوانين نشأت بتكون الأسرة، وكانت بدايتها من الأعراف القبلية، ثم تطورت شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت القوانين لها جهات تشرعها وتراقب تطبيقها؛ كما هو الحال في مجالس البرلمان اليوم، وأخرى

تطبقها أو تنفذها؛ كما هو العمل اليوم في مجالس الوزراء التي تمثل الجهة التنفيذية للقانون.

والقانون الوضعي في عالمنا اليوم أصبح خاضعاً لفلسفات ونظريات خاصة في بعض جوانبه، كما في النظام الشيوعي الذي ينظر لملكية مشتركة لوسائل الانتاج، ويهدف إلى إنهاء الطبقية بين فئات المجتمع، إلا أنه يعتبر غير مجد لتنمية رأس المال، وخلق سوق تنافسية لأسعار مناسبة، ويعدم حق الفرد في الملكية، والنظام الرأسمالي الذي يبيح الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، وتراكم رأس المال بأيد قليلة، مما يؤدي إلى ظهور طبقات فقيرة من العمال والأجراء، واستغلالهم من قبل أصحاب الشركات الكبيرة.

المطلب الثاني

الهدف من دراسة النظم الاسلامية

لدراسة النظم الاسلامية أهداف ينبغي للدارس أن لا يغفل عنها، والتي يمكن أن نجملها فيما يأتي:

أولاً: دراسة النظم الاسلامية تتيح للدارس معرفة خصائصها ومميزاتها، ويمكن من خلال الدراسة مقارنتها بغيرها من النظم والقوانين، وإدراك تفوقها في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات الأخرى.

ثانياً: الرد على خصوم الاسلام الذين يثيرون الشبهات حول الأحكام التشريعية الاسلامية، ويحاولون النيل من الاسلام بشتى الوسائل.

ثالثاً: معرفة مواطن الخلل في الأنظمة الوضعية من خلال مقارنتها بالنظام الاسلامي؛ لأنه نظام إلهي مكتمل التشريع يراعي مصلحة الناس في كل وقت ومكان.

رابعاً: دراسة النظم الاسلامية تجعل الفرد المسلم واثقاً بنفسه ودينه وتعاليمه السامية، وتجعله يعتز بها بعد معرفتها والاطلاع عليها.

خامساً: يمكن من خلال الدراسة تأهيل باحثين يتمكنون من تقنين الأحكام الشرعية، وصياغتها صياغة حديثة تنسجم مع روح العصر، وتتكيف معها في الشكل وإن خالفتها في المضمون.

سادساً: تتيح للدارس تشخيص التيارات والأفكار التي أثرت على المجتمع الاسلامي، وكيفية التصدي لها بعد تشخيص ما فيها من خلل وزلل.